

أكد الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الداعية عبدالعزيز الفضلي أن الله عز وجل لم يجعل الطلاق أول وسائل حل المشكلات الزوجية، وإنما جعله آخر العلاجات بعد استخدام الوعظ، والهجر في الفراش، والضرب غير المبرح، والاحتكام إلى حكمين من أهل الزوجين، مشيراً إلى أن أبرز أسباب تفشي الطلاق وارتفاع معدلاته مؤخراً جهل الزوجين بحقوقهما وواجباتهما، وتخليهما عن دورهما الحقيقي في الأسرة، والسماح للأطراف الخارجية بالتدخل في شؤونهما الخاصة.

«الأنباء» التقت الفضلي للحديث حول هادم البيوت ومشتت الأسر ومفرق الشمل وجالب الأحزان والأتراح «الطلاق»، لتبسيط الضوء على مسبباته وطرق علاجها على ضوء الشريعة الإسلامية السمحة، خاصة بعدما تناول الفضلي هذا الموضوع الهام في خطبة الجمعة المذاعة على تلفزيون وإذاعة الكويت، والتي نالت إعجاب وتفاعل الكثير من المواطنين والمقيمين، وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

إعداد: ضاري المطيري

تحدث عن نعمة الزواج وأبرز الأخطار المحدقة به وسبل تحصين الزوجين من التهور في الطلاق والفرار

الفضلي لـ «الأنباء»: التسلط والاستبداد ليسا من معاني القوامة وعقد الزواج ليس عقد عبودية واسترقاق كما يتوهمه بعض الرجال

يحصل بينهما فرقة أو فساد فأنها الحالقة أي التي تحلق الدين»، وحذر الإسلام أهل الوشاية والمغرضين ولوج أبواب الفتنة والتدخل في الشؤون الزوجية فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس منا من خبب - أي أفسد - امرأة على زوجها»، رواه أبو داود.

ماذا تنصح الرجل الذي تحدثه نفسه بطلاق زوجته؟

● يا من حدثتك نفسك بالطلاق، تذكر لوعة الفراق، ولحظة الافتراق، تذكر أنك تكسر قلباً، وتجرح شعوراً، وتخرب بيتاً قام بأمانة الله وعلى كلمة الله، تذكر قول الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)، جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيريه في طلاق امرأته فقال عمر: لا تفعل، فقال: ولكني لا أحبها، قال له عمر: ويحك أو كل البيوت تبني على الحب؟ فأين الرعاية والتدبّر؟

إذا أنت لم تصبر مراراً على القذى

ظلمت وأي الناس تصفو مشاربه
يا من تريد الطلاق تدرج في الحل ولا تتسرع، فلم يجعل الطلاق أول وسائل حل المشكلات الزوجية، وإنما جعله آخر العلاج، فقد قال الله تعالى: (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واحجوهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً)، وبأنيها الراغب في الفراق جرب النصح لزوجتك، وحاول الصلح بحكم من أهلها وحكم من أهلك، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً.

وكنك ماذا تنصح المرأة التي تسأل زوجها

● ويا من تريد الطلاق، تذكر نعمة الزواج وقارنها بحياة العنوسة وما بعد الفراق، واحذري من أفضاء الأسرار الأسرية، ومن تدخل الآخرين في حياتك الزوجية، وتذكرتي حال الأولاد بعد الفراق، وتفكري في مسائل الأرحام إذا قطعت، والعلاقات إذا فصمت، وإن كان زوجك أساء لك يوماً فقد سر كما أياماً، وإن أخطأ في حقد زمناً فقد استقام لك أياماً، قال الله تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير، واحذري أن تطلبي الطلاق من زوجك من غير ما بأس، فذلك شر وأي شر؟ عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أيا امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها راحة الجنة»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه).

حفظ اللسان

لكن إن تعذرت كل سبل الإصلاح، فبماذا تنصح الزوجين؟
● فان تعذرت كل هذه الطرق في العلاج، وأصبحت الحياة الزوجية حجيماً لا يطاق كان الطلاق آخر العلاج، الذي لا مفر منه، ولذلك قال تعالى (فامسك بمرغوب أو تسريح باحسان)، ولعل في ذلك الطلاق أن تكتب لكل من الزوجين حياة أخرى جديدة، قال سبحانه (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته، وكان الله واسعاً حكيماً)، وبعد الطلاق لابد من حفظ اللسان وذكر المعروف، قال تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير)، أراد رجل أن يطلق زوجته فقيل له: ما يسوؤك منها، فقال: العاقل لا يهتك ستر زوجته، فلما طلبها قيل له: لم طلقها؟ قال: ما لي ولكلام فيمن صارت أجنبيّة.

أسباب الطلاق عدم انسجام الزوجين وتوافق طباعهما لبعضهما البعض؟

● ليس هذا بشرط، فإنه من الأمور التي لا يختلف عليها اثنان أن الله تعالى خلق البشر وبيّنهم اختلاف في الطباع والسجايا والأفهام، وهذه حقيقة لا بد وأن يفهمها الزوجان في تعاملهما مع بعضهما البعض، فلا يتوقع أن يطابقه شريك حياته في كل شيء، ومن هنا دعا النبي ﷺ الرجل إلى أن ينظر إلى الجانب الإيجابي من المرأة فقال «لا يفرك - أي لا يبغض - مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد وجد الطلاق يوم نازعت المرأة الرجل في مبدأ القوامة وانساق وراء الدعايات المضللة التي تروج لها بعض وسائل الإعلام المفسدة، وبعض المؤسسات والجمعيات المشبوهة، حيث دعيت المرأة إلى المطالبة بمساواتها مع الرجل في كل شيء حتى مبدأ القوامة في البيت، وتناسى هؤلاء قول الله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)، فأرادت بعض الزوجات أن تكون هي الأسرة الناهية في البيت وأن يكون على الزوج السمع والطاعة، فانتكست الفطرة وانقلب الميزان، واستنوق الجملة واستأسد الحمل، وضاعت بسبب هذه الأفكار الاسرة وتشتت الشمل، ولا يخفى على كل ذي لب أنه لا يمكن لسفينة أن تصل إلى بر الأمان إذا كان لها أكثر من رباب.

القوامة لا التسلط

لكن هل تعني هذه القوامة التسلط والقهر للزوجة؟

● بالطبع لا، فليست القوامة كما يظن بعض الأزواج أن من معانيها التسلط والقسوة والشدة والغلظة، بل إن بعضهم لم يراع الذمم وفقد الأخلاق والشيم، مع الأسف يأخذ أحدهم المرأة معززة مكرومة من أهلها فيردها كسيرة على أعقابها، لم يدرك المسكين أن عقد الزواج لا يعني عقد العبودية والاسترقاق، ولا القهر والاستبداد، إنما هو رسالة تفخر بها؟ وهي صيانة البيت وتربية الأولاد والقيام بحقوقهم والعناية بشؤونهم، نجدوا الأناش والحنان، والتربية أحساناً على ولد في صغره، وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وماذا عن أسباب الطلاق الخارجية، والتي تأتي من غير الزوجين؟

● دور الاطراف الخارجية في الحياة الزوجية خطير، فإنه يجعلها في كثير من الأحيان في فوضى عارمة، ومزاج مقيت، وشقاق وتعنت، وتدخلات الاقارب خاصة من الأمهات والأبساء، فالوالدان على جلالة قدرهما وعظيم مكانتهما أن كثرة التدخل في الحياة الخاصة للزوجين في صغبر الامور وكبرها، في جليلها وحقيقتها، لينغصا على الزوجين حياتهما، ويجعلا الزوج بين اختيارين، اما والده اللذين يرباه صغيراً، واما زوجته التي فارقت أهلها وهجرت عنهما من أجله، ويكون الزوج بين اختيارين أهونهما صعب وأحلهما أمر من المر.

لقد كثر الطلاق حينما كثر الحساد والواشون، أولئك الذين يهجمون على البيوت من ظهورها، فيمزقون أستارها ويهتكون حجابها، أولئك الذين يسعون في الإفساد فلا يقر لهم قرار حتى يشعلوا الخلاف بين الزوجين، ويتم الطلاق بين الاثنين، فشر هؤلاء مستطير، وما يفعلونه بين الزوجين فساد كبير، وقد حذر النبي ﷺ أمثال هؤلاء بقوله ﷺ «اياكم وسوء ذات البين فانها الحالقة»، رواه الترمذي وصححه، وقال المناوي «أي اياكم في التسبب في المخاصمة والمشاجرة بحيث



الداعية عبدالعزيز الفضلي

المال واقتناء الثروة، إنها راعية رسول الله ﷺ «المرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها» (رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما). وقد امتدح النبي ﷺ من تحنو على ولدها، وترعى حق زوجها فقال: «خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش: أحسانه على ولد في صغره، وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الا يقال كذلك أن من

رضي الله عنهم.

دور المرأة

وهل فسدت العلاقات بين الأزواج إلا حينما تخلت المرأة عن أعظم دور لها وأنبئ رسالة تفخر بها؟ وهي صيانة البيت وتربية الأولاد والقيام بحقوقهم والعناية بشؤونهم، نجدوا الأناش والحنان، والتربية أحساناً على ولد في صغره، وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من اللهو البريء، والدعاية اللطيفة، والملاطفة بالكلمة الطيبة والابتسامة المبعرة، لإبعاد أجواء التوتر التي تنشأ بسببها الخلافات، وتستعر نار الشقاق والعداوات، فبالخلق الحسن والمعاشرة الطيبة يراعي كل من الزوجين حق الآخر عليه. قال الله تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) وخبر الناس خبرهم لأهله، كما قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عائشة وابن عباس

الإسلام لم يجعل

الطلاق أولى وسائل

حل المشكلات

الزوجية وإنما جعله

بعد الوعظ والهجر

والضرب والصلح

في البداية نود من فضيلتكم الإشارة إلى نعمة الزواج، وخطر الطلاق الذي يحقد به، والذي ارتفعت نسب معدلاته في الآونة الأخيرة؟

● لقد شرع الله عز وجل الزواج ليكون عاملاً مساعداً في حفظ النسل وعماراً الأرض، وشجع الإسلام على الزواج لما فيه من غض البصر وحفظ الفرج، وقد جعل الله تعالَى الزواج من آياته الدالة على قدرته ورحمته وحكمته، ونعمة آمن بها على عباده، إذ يقول سبحانه وتعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وأعظم الله من شأنه فسماه ميثاقاً غليظاً، كما قال سبحانه: (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) ولقد حماه الشرع الحنيف بسياج من النصائح والإرشادات، وحصن من الأوامر والتوجيهات، إلا أن هذا الزواج قد تطرأ عليه كلمة، هي كلمة صغيرة لكن آثارها عظيمة وخظيرة، كلمة ولكن كم هدمت من بيوت وفرقت من شمل، هي كلمة ولكنها أبكت عيوناً وروعت أفئدة، إنها فعلاً كلمة لكنها قلبت الأفراح إلى أحزان واليسمة إلى غصة، إنها كلمة الوداع والفراق، إنها كلمة النزاع والشقاق، إنها كلمة الطلاق، هذه الكلمة كم نقلت بيوتاً من السعادة والهناء إلى العتاسة والشقاء، وكم تجرع مرارتها الأباء والأمهات والبنون والبنات.

ما أبرز أسباب الطلاق؟

● لقد فشا الطلاق عندما أساء كثير من الأزواج اختيار شريك الحياة، إذ رغبوا في مقاييس تضحل وتفنسى، وأعرضوا عن صفات تدوم وتبقى، فقام الاختيار على خصال الحسب والمال، والحسن والجمال، وتبذ مسا عداها من أخلاق وخالل. وما أحرص شرعنا على حسن اختيار الزوج، لتدوم العشرة وتبقى المودة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تتخ المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، رواه البخاري ومسلم، ولما كان الاختيار لغير الدين لم يرث الرجل من جمال المرأة سوى قبحها، ومن مالها سوى فقرها، ومن حسبها إلا ذلها.

والفتاة إنما كانت تبحث عن فارس الأحلام الذي صورته لها المسلسلات والأفلام، فلم تبحث إلا عن ذلك الشاب الجميل، صاحب المال والغنى والمنصب والجاه، وأغفلت مع ولي أمرها وصية النبي ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي وابن ماجه، ومن بنى اختياره لشريك حياته على غير التقى والدين والخلق القويم، فلا يعجب أن يكون بيته أو هن من بيت العنكبوت.

وكثر الفراق حينما أهمل الأزواج حقوق الزوجية وواجباتها، وصار كل طرف يريد أخذ حقه كاملاً غير منقوص دون أن يعطي الآخر حقه أو يعترف به، وهذا إجحاف وقلة إنصاف. قال رسول الله ﷺ: «ألا إن لكم على نساءكم حقا، ولنساءكم عليكم حقا، فأما حكمكم على نساءكم ألا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن تحقن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» رواه الترمذي من حديث عمرو بن الأوحص رضي الله عنه. وتزداد المشكلات، وتتعد الخلفات، حينما لا يبالي كل زوج بمشاعر الآخر، ولا يراعي معاشرته بالحننى، ولا إضفاء جو الراحة ودفع الملل والسامة



الداعية عبدالعزيز الفضلي في حوار مع الزميل ضاري المطيري